

إشراقات الرمز جيفارا ودلالاته عند شعراء المقاومة

عبدالعلي آل بويه لنگرودي*

تاريخ الوصول: ٩٣/٩/٤

ابراهيم ناطق تجرق**

تاريخ القبول: ٩٤/١/١٥

علي خالقي***

الملخص

من أنواع الرموز التي وظفها الشاعر المعاصر هو رمز الشخصيات التاريخية التي انتخب الشاعر فيها بطلا من الأبطال التاريخية، توافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقى. فهذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها على المنهج الوصفي- التحليلي، تهدف إلى معالجة أهم وأبرز دلالات رمز جيفارا، ومن أهمها رمز الثورة، الجهاد والمقاومة، التضحية والفداء، الصحو والوعي، الرجاء والأمل. وظف الشعراء شخصية جيفارا كرمز ليعبروا عن القضايا الحاضرة في العالم العربي، وفي صدرها قضية فلسطين واستبداد الحكام في الدول العربية. فالشاعر يستفيد من شخصية جيفارا الثائر لكي يُثير الشعب العربي ضد الصهاينة والمستبدين والمستكبرين وسالبي حقوقهم الانسانية.

الكلمات الدلالية: الإلتزام، جيفارا، رموز الإيحاء، شعر الثورة.

* a_alebooye@yahoo.com

** الأستاذ المشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الخميني(ره) الدولية، قزوين.

** nategh.ebrahim@yahoo.com

** طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الخميني(ره) الدولية، قزوين.

*** طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الخميني(ره) الدولية، قزوين.

الكاتب المسؤول: ابراهيم ناطق

المقدمة

أدب المقاومة كان مجموعة من الآثار الأدبية والشعرية التي تتحدث عن قبح وكوارث ظلم حكام البلاد أو إعتداء الأجنبيين في كل المجالات السياسية، والثقافية، والاقتصادية والاجتماعية. وهو ذاك الأدب المعبر عن الذات الجمعية الواعية بهويتها والمتطلعة إلى الحرية في مواجهة الآخر العدواني. ولعل أهم ملامحه هي التعبير عن الذات الجمعية والهوية، أدب الوعي والتخلص من الأزمات (اضطهاد، قهر، حروب و...) كما يتسم بالسعي لمعرفة الآخر العدواني وكشف أخطائه وأخطاره (طاهري نيا، ١٣٩٢، ١٩: ١٢).

يختلف معنى الاصطلاحى للرمز باختلاف الباحثين وربما المعنى الدقيق للرمز يأتي في تعريف أدونيس حين يقول: «الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص، فالرمز هو معنى خفى وإيحاء، إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي قصيدة، إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف علماً لا حدود له» (بوصلاح، ٢٠٠٠: ٨٤). يعتبر توظيف الرمز في القصيدة الحديثة سمة مشتركة بين غالبية الشعراء. وأن الرمز قد تنوع وتعمق وسيطر على لغة القصيدة الحديثة وتراكيبها وصورها وبنياتها المختلفة، والرمز بشتى صورته المجازية والبلاغية والإيحائية يعمق المعنى الشعري، وإذا وظّف الرمز بشكل جمالي منسجم، وأتساق فكري دقيق مقنّع، فإنّه يسهم في الإرتقاء بشعرية القصيدة وعمق دلالاتها وشدّة تأثيرها في المتلقّي.

والرمز لا يمكن أن يفهم أو يحدّد إلا ضمن السياق الكلى للجملّة. وقد حدّد البعض الرمز بين نمطين وهما الشخصي والخاص: «فالشخصى صورة مغلقة تظل أقرب ما تكون إلى السرّ الذي يكمن بين الشاعر وتجربته، أما الخاص فألصق بوجهة النظر التي توضح جوانبها نماذج الفنّان مجتمعة» (اليافى، ١٩٨٥: ٢٨٤؛ أنطوان، ٢٠٠٥: ٥١).

فعلى هذا، يعد الرمز من أهم التقنيات الفنية التي أخذت بها الشعر العربى المعاصر، وشكّلت علامة فارقة في تطور التجربة، بحيث غدت ذات رؤيا شمولية تصل الخاص بالإنسانى العام والكونى، والحاضر بالماضى. وغدت القصيدة بنية مركبة ودرامية، عميقة الدلالة، شديدة الوحدة العضوية، حين تبنى على رمز محورى يدور حوله النص. ما يؤدى إلى تحول الرمز إلى بؤرة إشعاع دلالي وإيحائي يتفاعل فيه الخاص والعام والكونى فى نسيج رؤياوى شديد الفاعلية. وغرف الشعراء المعاصرين من معين الرّمز الاسطورى

والتاريخى والثقافى والتراثى، صوراً فنية دالة أغنت نصوصهم الشعرية وعمقتها فكرياً وجمالياً. فأصبحت الرموز بكافة مستوياتها أهميّة قصوى للشاعر العربى المعاصر، بحيث غدا استدعاؤها أمراً يثرى المضمون الشعرى، ويكشف عن المعانى التى يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة.

ومن الرموز التى وظّفها الشاعر المعاصر هو الرمز التاريخى. هذا الرمز ومعطياته له القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا ينفد حيث تعيش هذه المعطيات فى وجدانات الناس وأعماقهم، وفى بعض الأحيان تحف بها حالة من القداسة والإكبار، لأنها تمثل جذورهم الأساسية لتكوينهم الفكرى والوجدانى والنفسى. والأحداث والشخصيات التاريخية لها دلالات الشمولية الباقية والقابلة للتجدد فى صيغ وأشكال أخرى، فدلالة البطولة التاريخية فى قائد معيّن بعد انتهاء الوجود الواقعى لذلك القائد، باقية وصالحة لتكرار من خلال مواقف وأحداث جديدة. إذ «إنّ التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، بل إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليست هناك صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضى» (ناصر، لا تا: ٢٠٥).

فإنّ الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التى يريد أن ينقلها إلى المتلقى، ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التى عاشتها أمتنا فى الحقبة الأخيرة.

فإذا نريد أن نميّز الشخصيات التاريخية الموظّفة فى الشعر العربى المعاصر نجدها تحت ثلاثة أنواع تمت كلها إلى طبيعة الظروف التى كانت تمرّ بها أمتنا فى القرن الاخير، «فمنهم شخصيات الحكّام والأمراء والقوّاد الذين يمثّلون وجه المظلم فى التاريخ، وقسم الثانى الخلفاء الذين يمثّلون وجه مضىء للتاريخ وقسم الثالث أبطال الثورات والدعوات النبيلة» (عشرى زايد، ١٩٩٧: ١٢١). شخصيات قسم الأخير كانوا من الذين لم يقدر لثوراتهم أو دعواتهم أن تصل إلى غايتها، فكان مصيرها ومصيرهم الهزيمة واغتيال نفوسهم ولم يكن سبب هذه الهزيمة نقصاً أو قصوراً فى دعواتهم أو مبادئهم، وإنما كان سببها أن دعواتهم كانت أكثر مثالية ونبلا. والشخصيات التاريخية الموظّفة فى الشعر العربى المعاصر يشمل الأبطال فى التاريخ العربى والعالمى، بما أنّ كل شاعر يرغب إلى ذكر تراثه التاريخى، فحضور الشخصيات العربية والاسلامية فى الشعر أكثر من الشخصيات

العالمية. ومن الشخصيات التاريخية التي عنى بها الشاعر المعاصر هي شخصية *جيفارا*، الثائر والمناضل من أمريكا اللاتينية. من خلال شخصية *جيفارا*، يعبر الشعراء عن أن الهزيمة التي تلقاها الدعوات والقضايا النبيلة في هذا العصر، وعن رغبة الشعب العربي إلى الثورة والمناضلة ضد أعداءه. هذه شخصية تعيد الشاعر إلى الماضي وفق رؤية إنسانية حاضرة، تكشف هموم الإنسان ومعاناته وطموحه وأحلامه، وترتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر، حيث يستلهم الشاعر أوجه التشابه بين أحداث الواقعة في عصر *جيفارا* و وقائع العصر وظروفه. هذه الدراسة التي اعتمدنا في خطتها على المنهج الوصفي - التحليلي، تحول أن تعالج الأسئلة التالية: ما هي خصائص الأشعار التي وُظف فيها شخصية *جيفارا* كرمز من الرموز التاريخية؟ ما هي ملامح الرموز التاريخية وخصائص رمز *جيفارا*؟ كيف وُظف الشاعر العربي رمز *جيفارا* في أشعاره؟ ما هي أبرز دلالات شخصية *جيفارا* في النصوص المنظومة العربية؟

خلفية البحث

توجد دراسات عديدة تناولت الرمز والرمزية في بحث مخصص للظاهرة، ومنها دراسة *للأستاذ أنطوان غطاس كرم* عن الرمزية والأدب العربي الحديث، صدرت في بيروت سنة ١٩٤٩م، ودراسة *للدكتور درويش الجندى* صدرت بالقاهرة سنة ١٩٥٨م بعنوان «الرمزية في الأدب العربي»، ودراسة *للدكتور محمد فتوح أحمد* بعنوان «الرمز والرمزية في الشعر المعاصر» صدرت بالقاهرة سنة ١٩٧٦م، وتعد هذه الدراسات من أبرز ما كتب في الرمز والرمزية العربية على اختلاف بينها في تناول الظاهرة، كما أن هناك دراسات أخرى تناولت بعض الرموز في الشعر والتراث العربي مثل دراسات *الدكتوراه ثناء أنس الوجود* لرمز الماء، ورمز الأفعى في التراث العربي ودراسات لرمز المرأة والبحر والناقصة، وهناك دراسة *للدكتور مصطفى ناصف*، عن «رمز الطفل عند المازني» غير أنه بالرجوع إليها لم يجد الباحث ما يخص رمز الطفل فيها إلا في جزء يسير منها، وهناك مقالة بعنوان «استدعاء الرموز ودلالاتها في الشعر الفلسطيني المقاوم المعاصر» *لعاطى عبيات* ويحيى معروف، ومقالة «الرموز التاريخية والدينية والاسطورية في شعر محمود درويش» *لمحمد فؤاد السلطان*، غير أنني ما وجدت مقالة عنى بالبحث عن رمز *جيفارا* في الشعر العربي

المعاصر، وهذا البحث يعد أول دراسة مستقلة لتوظيف رمز جيفارا في الشعر مع ذكر الشواهد الشعرية التي وظف فيها هذه الشخصية كرمز.

حياة جيفارا الثائر

ارنستو "تشى" جيفارا (١٤ يونيو ١٩٢٨ - ٩ أكتوبر ١٩٦٧) المعروف باسم تشى جيفارا (Che Guevara)، أو التشى (El Che)، ثورى كوبي ماركسي، أرجينتينى المولد، كما أنه طبيب، كاتب وزعيم حرب العصابات، قائد عسكري، رئيس دولة عالمى مولع بالأدب والسياسة والفلسفة، وشخصية رئيسية فى الثورة الكوبية. أصبحت صورته المنمقة منذ وفاته رمزاً فى كل مكان ضمن الثقافة الشعبية. يظهر اسمه القانونى /ارنستو تشى جيفارا/ نسبة إلى ألقاب والديه فى بعض الأحيان مع إضافة دى لا سيرنا أو لينش له. بالرغم من المعاناة من نوبات الربو الحادة التى كان يعاني منها طوال حياته، إلا أن جيفارا برع كرياضى، ولا يعرف الكلل ولا الملل.

لقد سافر جيفارا لجميع أنحاء أمريكا اللاتينية وهو فى السنة الأخيرة من الكلية، وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بوحدة أمريكا الجنوبية وبالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع اللاتينى البسيط، وتغير داخلياً بعد مشاهدة الفقر المتوطن هناك (سينكلر، ١٩٨٦: ١٢-٥٠).

أدت تجاربه وملاحظاته خلال هذه الرحلة إلى استنتاج بأن المنطقة متأصل بها التفاوتات الاقتصادية التى كانت نتيجة من الرأسمالية الاحتكارية والاستعمار الجديد والإمبريالية، كان جيفارا يرى أن العلاج الوحيد هو الثورة العالمية. هذا الاعتقاد كان الدافع وراء تورطه فى الإصلاحات الاجتماعية فى غواتيمالا. بينما كان جيفارا يعيش فى مدينة المكسيك التقى هناك براؤول المنفى مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه فى كوبا، ما إن خرج فيديل كاسترو من سجنه حتى قرر جيفارا الإنضمام للثورة الكوبية، سرعان ما برز جيفارا بين المسلحين وتمت ترقيته إلى الرجل الثانى فى القيادة، ولعب دوراً محورياً فى نجاح حملة على مدار عامين من الحرب المسلحة التى اطاحت بنظام باتيستا. غادر جيفارا كوبا فى عام ١٩٦٥م، بسبب التحريض على الثورات الأولى الفاشلة فى الكونغو كينشاسا ومن ثم تلتها محاولة أخرى فى بوليفيا،

حيث تم إلقاء القبض عليه من قبل وكالة الاستخبارات المركزية بمساعدة القوات البوليفية وتم إعدامه. قبل لحظات من إعدام جيفارا سأل عما إذا كان يفكر في حياته أو الخلود؛ أجاب: «لا أنا أفكر في خلود الثورة» ثم قال تشي جيفارا للجلاد: «أنا أعلم أنك جئت لقتلي! أطلق النار يا جبان إنك لن تقتل سوى رجل» (مارش، ٢٠٠٣: ٢٠-١٥).

لا تزال شخصية جيفارا التاريخية تنال كل من التبجيل والإحترام، مستقطباً المخيلة الجماعية في هذا الخصوص العديد من السير الذاتية والمذكرات والمقالات والأفلام الوثائقية والأفلام. «في حين أن الصورة الأشهر المأخوذة من ألبرتو كوردا له بعنوان بطل حرب العصابات، قد سميت "بالصورة الأكثر شهرة في العالم" عام ١٩٦٨م، غضب شبان العالم وخرجوا إلى الشوارع معلنين أنهم يستطيعون إنهاء الحروب وتغيير ملامح العالم، وقد تحول هذا الرجل الثائر بعد موته إلى شهيد لقضاياهم» (نفس المصدر: ٤٢). أصبح جيفارا يمثل أحلام ورغبات الملايين ممن يحملون صورته علماً. أنه كان يمثل أيضاً مجموعة من التناقضات، وكأن الموت حول ملامحه، ما يوحي بأنه لو منحه أعداؤه الحق في الحياة، لربما عجزت أسطوره عن احتلال هذا المدى العالمي الذي تنعم به اليوم.

جيفارا و الأدب المعاصر

لقد تحول جيفارا إلى الرمز المثالي للحركات العديدة. قد تنظر مجموعة من الشخصيات النافذة في العالم لتشي جيفارا باعتباره بطلاً، على سبيل المثال أشار نيلسون مانديلا بأنه «مصدر إلهام لكل إنسان يحب الحرية». في حين وصفه جان بول سارتر بأنه «ليس فقط مثقف ولكنه أيضاً أكمل إنسان في عصرنا». ومن الذين أبدوا إعجابهم بجيفارا أيضاً الكاتب غراهام غرين الذي لاحظ أن تشي «يمثل فكرة الشهامة والفروسية والمغامرة» وسوزان سونتاغ التي شرحت أن «هدف تشي ليس أقل من القضية الإنسانية نفسها». في المجتمعات السوداء أعلن الفيلسوف فرانز فانون جيفارا رمزاً للعالم عن إمكانيات رجل واحد. في حين أن حزب الفهود السود ورئيسها ستوكلي كارمايكل نعى قائلاً «تشي جيفارا لم يمت أفكاره لا تزال معنا».

الثناء انعكس على جميع أنحاء الطيف السياسي، مع الرأسمالية التحرري المنظر موراي روثبارد مجد جيفارا على أنه شخصية "بطولية" معرباً عن أسفه لوفاته "أكثر من

أى رجل فى عصرنا أو حتى فى قرننا هذا، تشى كان تجسيدا حيا لمبدأ الثورة»، فى حين أن الصحفى كريستوفر هيتشنز علق بأن «موت تشى كان يعنى الكثير بالنسبة لى ولعدد لا يحصى أيضاً من أمثالى فى ذلك الوقت، كان نموذجا يحتذى به، وإن كان واحد من المستحيلات بالنسبة لنا البرجوازيين الرومانسيون حيث ذهب وقام بما يفعله الثوار حارب ومات بسبب معتقداته».

لا يزال جيفارا البطل الوطنى المحب للكثيرين فى كوبا، مازالت صورته تزين البيزو الكوبى وطلاب المدارس يتعهدون كل صباح قائلين «سنكون مثل تشى». فى وطنه الأسمى الأرجنتين، تحمل مدارس ثانوية اسمه، والعديد من المتاحف المنتشرة فى البلاد تحمل اسمه، فى عام ٢٠٠٨ تم كشف النقاب عن تمثال البرونز ١٢ قدم له فى مدينة روزاريو محل ولادته. بالإضافة إلى ذلك جيفارا تم تنصيبه كقديس من قبل بعض الفلاحين البوليفيين باسم سانت /رنستو الذين يصلون له من أجل المساعدة. وكل هذا يدل على أن شخصية جيفارا لا يزال رمز المقاومة والثورة ومطالبة حقوق الانسان فى جميع أنحاء العالم.

توظيف الرمز جيفارا فى الشعر العربى المعاصر

يعتبر جيفارا من الشخصيات التاريخية التى يحضر على الساحة الشعرية العربية، وله قوة وفاعلية وتأثير على المتلقى. توظيف رمز جيفارا لم يكن من أجل حكاية حياته المليئة بالكوارث والآلام، وإنما استغل الشاعر حوادث حياة شخصيته الموظفة ليعطيها بعدا دلالياً وجمالياً فى القصيدة. على هذا، يصبح الرمز التاريخى وسيلة لقراءة التاريخ من وجهة نظر الشاعر وليس من وجهة نظر المؤرخ، فالشاعر يقرأ الجانب المضىء من الأحداث. شخصية جيفارا وُظف فى الشعر المعاصر خاصة فى قصائد الشعراء الملتزمين والواقعيين والشعراء الذين يهتمون بحياة الشعوب سياسياً واجتماعياً وثقافياً. استدعى الشاعر المعاصر شخصية جيفارا كرمز الثورة والمقاومة والحركات الشعبية والتوعية والتضحية فى سبيل الوطن والحرية فى جميع شئون الحياة. فى هذا الموقف نشير إلى بعض الدلالات رمز جيفارا فى الشعر العربى المعاصر مع نماذج من توظيفات الشعراء. فنقوم بتحليل الأشعار وفق توظيف رمز هذه الشخصية فى أشعارهم. أقسام هذه الدلالات يأتى على نحو التالى:

جيفارا؛ رمز الثورة

الثورة فى مفهومها الإصطلاحى هى فعل التغيير الشامل أو بتعبير أدق «أقصى مراحل الرفض للسلبيات» (المقالح، ١٩٨١: ٧٥) وإذا كان «التمرد حركة لا نتيجة لها فى الواقع وإحتجاجاً غامضاً لا ينطوى على نظام أو مذهب، فالثورة محاولة لتكييف العمل وفقاً لفكرة، إبتغاء تشكيل العام داخل إطار نظرى» (رمانى، ١٩٨٥: ٣٤). فالثورة فعل انساني هدفه التغيير الشامل، والتطهير الكلى، إنها الزلزال الذى يقلب ملامح الأرض، يهز الأعماق، ويغير الخرائط ويبدل المجتمعات والأفكار. وقد لعب الادباء، والشعراء بخاصة دور الجندى المجهول والخفى فى كل ثورة نشبت على الارض فكانوا ممهّدين لها والداعين إليها والناقلين لأحداثها فى قالب مستساغ.

«فالادب يصوّر حياة، والقلوب والأذواق على نحو لا يستطيع التاريخ أن يصوره ولا أن يسجله، ولا ينقله إلينا نقلاً صحيحاً دقيقاً» (حسين، ١٩٨٥: ٤٥). أكثر شعراء الحديث قد امتلكوا الفكر الثورى وقد استوعبوا علاقة الفن بالثورة، والثورة من أهم دلالات رمز جيفارا/ فى الشعر العربى خاصّة فى الشعر الفلسطينى، لأنّ جيفارا/ معروف بالثائر ضد الإستبداد، والشاعر الفلسطينى يجد قواسم مشتركة بينه وبين شخصية جيفارا/ بالنسبة للثورة ويتماهى معه ويسعى من أجل تحرير الأرض والإنسان الفلسطينى من يد الصهاينة. على هذا، وظّف شخصية جيفارا/ كثائر ليعبر عن موقفه فى حل قضية شعبه. علاوة على هذا، الشاعر العربى لا يجد سبيلاً للنجاة من إستبداد حكام العرب، فاختر الثورة كطريق واحد للوصول إلى الآمال والحرية، كما فعل جيفارا/ فى نضاله ضد السلطات المستبدة فى عدة بلدان العالم.

قد أنشد قاسم حداد قصيدة على عنوان «من أبجدية القرن العشرين العربى»، واستفاد من الحروف الأبجدية لكى يتناول موضوعات هامة مرتبطة بقضايا الشعب العربى ويختص حرف غين بـجيفارا/ (جيفارا/) حتى يقوم بتعبير أهم قضايا شعبه، باستدعاء شخصية التى تكون رمز الثورة:

صوت غيفارا هدير الريح ثائر

يا رصاصات تجوب

يا جراح الأرض فى جلد الرجال

أى ليل لا يموت
تحت وقع القدم الخضراء
يا ليلا يموت
صوت غيفارا كصوت المستحيل
يقطع الأبعاد من كوبا
إلى غابات بوليفيا
إلى أرض الجليل
صوته يأتى ليجتاح الموات
ويخض الحجر المرصوص فى جرح الحياة
صوت غيفارا و غيفارا يجىء

(حداد، ٢٠٠٠: ٧٥)

فى هذا المقطع الشعرى أخبر الشاعر أن الصحوّة والوعى قد إستوعب الشعب العربى وحن حين الانتفاضة والإستنهاض ضد الإستبداد فى الدول العربية. وظّف الشاعر شخصية جيفارا كرمز الثورة الذى انتشر آراءه الثورية فى أنحاء العالم من أمريكا اللاتينية حتى الدول العربية ولا مناص من إستيعاب هذه الفكرة لأنها كريح يعبر عبر الأراضى والأماكن والأزمنة ويقطع الأبعاد من كوبا إلى بوليفيا حتى يصل إلى العالم العربى، وينتفش النفوس الميته حتى يثرن لأخذ الثأر من الظالمين.

وكما نجد فى قصيدة «بكائية على صدر الوطن» عن مظفر نواب، توظيف رمز جيفارا كثنائى على الحكومة المستبدة فى العراق، خاصة أنه تعرّض للسجن والتعذيب عدة مرات فى حياته من جانب الحكومة العراقية، وهرب إلى إيران ولكن ألقى سافاك عليه القبض وقام بتعذيبه فى السجن. وهو فى هذه الحال، إذ يعتريه الضعف واليأس والألم، يمدّه الثوار القدامى كعلّي (ع) وأبى ذر و حسين الاهوازى و الآخرين بدعم معنوى و روحى يجعله يقاوم التعذيب:

غامت عيناي من التعذيب
رأيت النخلة ذات النخلة
والنهر المتجوسق بالله على الاهواز

وأصبح شط العرب الآن قريباً منّي
والله كذلك كان هنا
و احتشد الفلاحون غلّيّ
وبينهم كان عليّ وأبوذر
والأهوازي ولوممبا
أو جيفارا أو ماركس أو ماو لا أتذكر
فالثوار لهم وجه واحد في روحى

(النواب، ١٩٩٦: ٤٩٨)

استدعاء جيفارا كشخصية تاريخية ثائرة بجانب الثوار الكبار فى التراث العربى والعالمى، وفى زمن الشاعر يرمز إلى أنّ الشاعر يتمركز على الثورة كطريق النجاة من الظلم واستبداد الحكومات فى الدول الاسلامى، خاصة فى العراق وإيران فى زمن بهلوى. وعندما يرى الشاعر الفلاحين يعملون كآبى نر وجيفارا، فيريد أن يرمز على أن يجب للناس كلهم من الطبقات الدنيى حتى الوسطى أن يستنهضوا أمام الحكام الظالمين والمستبدين وأن يثورا لإسقاط السلطات الغاصبين. وعلى هذا الأساس، نشاهد توظيف شخصية جيفارا كرمز الثائر والرافض فى آثار الشعراء المعاصرين من البحرين حتى العراق وفلسطين. فعندما الشاعر لا يستطيع التعبير عن أفكاره الثائرة والمنتقمه جهارا ومعلنا يوجه إلى استفادة الرموز لاستنهض همم الناس لأخذ حقوقهم السياسية والاجتماعية.

رمز الجهاد والمقاومة

إنّ المقاومة لها جذور عميقة فى الأدب، إلّا أنها لم تكن تتميز بمصطلح خاص و«قد شاع استخدام مصطلح أدب المقاومة بحيث انتشر أكثر من مصطلحات شاعت قبله كأدب المعركة، وأدب الحرب، ويمكننا أن نطلق على الشعراء الذين أنشدوا ضد الأعداء بشعراء المقاومة، فهذا النوع من الشعر يطلق على ما ينتجه الشعراء من منطلق الدفاع عن المصالح الوطنية إثر العدوان» (الخطيب، ٢٠٠٩: ٩). ويعد جيفارا أحد رموز أدب المقاومة وكما أن المقاومة تعنى النضال مع العدو والإستقامة أمامه؛ ف يأخذ هذا اللون من الشعر معنى معين فى قضية فلسطين وكل أنشودة حول هذه المسألة فيها صبغة المقاومة. فإذن

توظيف جيفارا كرمز المقاومة أمام العدو في الشعر الفلسطيني أكثر وأجدر بالنسبة للدول الأخرى. أكثر شعراء في العالم الإسلامي أنشدوا في فلسطين فمنهم على فودة، الذي لم يكن بعيدا عن البعد الثوري للثأر، وبخاصة إنه ولد من رحم القضية الفلسطينية وفي وسط العدوان الصهيوني، فجاء شعره محملا بطابع الغضب والثورة كما في قوله متحدثا عن بطولات أمه "ياسمينة":

وتعرف كيف تنشئ طفلها العادي

فتخلق منه جيفارا

يعيش، يعيش

حتى ياخذ الثأرا

(فودة، ٢٠٠٣: ١٢)

ويلاحظ أن فعل الثأر جاء مستمرا بدلالة الزمن المضارع، وقابليته للإمتداد المستقبلي، ويربط هذا الثأر برمز المقاومة العالمية وهو المناضل البولوي جيفارا، وهذا جعل دلالة الثأر التراثية أكثر معاصرة، و تجذرا في النفوس، وأكسب فعل المقاومة بعدا انسانيًا، يشع بنور الحرية. «وهذه الروح الانسانية الثائرة التي يهتف بها الشاعر، جعلته يسير خطوة إلى الأمام بقضيته؛ لينقلها من الإطار الإقليمي والقومي إلى الإطار الإنساني والعالمي، من خلال إلتحامه بالثورات وحركات التحرر العالمية» (أبوشاور، ٢٠٠٣: ١٩٦).

فنجده يرتد مرة ثانية إلى جيفارا ويجعله رمزاً فلسطينيا حاضرا، و وسيلة لبعث الروح النضالية في النفوس. وينشد مخاطبا جيفارا:

غزة في القلب

وفارسها أنت

فماذا تفعل يا جيفارا

حيث يمدون أصابعهم

كي تتحرش بالنهد البكر لغزة

(فودة، ٢٠٠٣: ١٨٧)

جيفارا في هذا المقطع الشعري يصير رمز الشعب الاسلامي عامة والفلسطيني خاصة؛ بحيث يريد الشاعر منهم أن يشن الحرب ضد الصهاينة لتحرير الأرض المقدسة ويدعو

الناس إلى المقاومة كجيفارا/ الذى يقاوم العدو وأغتيل فى سبيل الذود عن الشعب و الوطن.

وفؤاد نجم فى قصيدة «صرخة جيفارا» التى أنشدها فى ذكرى موت جيفارا، يبدأ شعره بالإخبار عن موت جيفارا حتى يجلب انتباه الناس إلى هذه الكارثة العظيمة وحاول من خلال استدعاء شخصية جيفارا لتحريك الهمم و الحماس فى قلوب الناس الذين لا يهتمون بمصيرهم. لهذا، يجعل عنوان قصيدته «صرخة جيفارا» حتى يعلن أنه لا يموت بل اغتياله سبب لصدمة فى نفوس الشعوب لكى يستيقظوا من النوم ويقوموا لإعادة حقوقهم المسلوبة:

مات المناضل المثال
يا ميت خسارة على الرجال
مات الجدع فوق مدفعة جوه الغابات
جسد نضالة بمصرعه
ومن سكات
لا طبالين يفرقوا
ولا اعلانات
ما رأيكم دام عزكم
يا أنتيكات
يا غرقانين فى المأكولات والملبوسات
يا دافيانين ومولعين الدفيات
يا محفلطين يا ملمعين
يا جيمسنات
يا بتوع نضال آخر زمن
فى العوامات
ما رأيكم دام عزكم
جيفارا مات

(فؤاد نجم، ٢٠٠٥: ٥٥٠)

الشاعر فى هذه الجملاآ بعد إعلان خبر موت البطل المناضل جيفارا، يلوم الناس الذين يغرقون فى الشرب والأكل ولا يكثرثون بالنضال والمقاومة ضد أعداءهم، وليس للعة والشرف عندهم مكانة، بل يشغلون بالذات وأهوائهم المادية، فيسخرهم الشاعر ويدعو لهم استمرار عزمهم، فى حال أن عزتهم مسلوآة. فالشاعر يقوم بتفسير معنى الرجولة ويقول إن الموت بالعة أآدر وأوفى من حياة تحت الظلم والإستبداد، ويستمر فى القول:

جيفارا مات

موتة رجال

يا شغالين ومحرومين

يا مسلسلين رجلين وراس

خلاص خلاص

مالكوش خلاص

غير بالبندق والرصاص

دا منطق العصر السعيد

عصر الزوج والامريكان

الكلمة للنار والحديد

والعدل أآرس أو جبان

صرخة جيفارا يا عبيد

فى أى موطن أو مكان

ما فيش بديل

مافيش مناص

(نجم، ٢٠٠٥: ٥٥١)

وينتج فى النهاية أن فى هذا الزمن الذى يغلب الزوج على العراق ولا من يدافع عن الناس، ويغلب الفكرة الامريكية على العالم بأسره، ويوجدان التوتر والإضطراب فى العراق والعالم، فإذن ليس للعدل مكانة بين السلطات العالميين، فلا مناص ولا بديل للناس إلا أن يختاروا طريق المقاومة أو يسلموا أنفسهم للطغاة والمستبدين ويعيشوا تحت الذل

والهوان. فالشاعر يدعو الناس في هذه القصيدة إلى المقاومة والجهاد أمام من سلب عزتهم ويجعلهم هواناً وخذلاناً، وهذه الدعوة تنبع من الإيمان بالجهاد والمقاومة؛ فهما طريقان أساسيان لمقابل الظالمين.

التضحية والفداء

التضحية والفداء من أسس المقاومة، والشعب الذي يناضل بالتضحية لا يعرف الهزيمة لأنها يقاوم بكل قوة حتى آخر لحظة من حياته. أحد رموز شخصية جيفارا في الشعر العربي هو التضحية والفداء في سبيل الحرية والمجد والنجاة من الطغاة والمستبدين. وتم استدعاء جيفارا كرمز التضحية مرات كثيرة فتوحدت مع شخصية الشاعر العربي وشكلتا معاً تجربة واحدة ومأساة واحدة، فالشاعر يتحمل آلام المحنة وعذاباتها لأجل الوطن العربي ويفدى نفسه لدعوته التي يكافح من أجلها وقضيته الوطن الذي يسعى لتحريك أحاسيس ومشاعر الأمة العربية نحوه.

وإن جيفارا في هذه الأشعار شخصية يمثل فيها الجهاد والتضحية والفداء للوطن، فهي أب لم يبخل على وطنه بأبنائه بل كان أب للبطولة والحرية وتارة يكون الشخصية التي تحارب وتقاتل وترفض العدوان، تدافع عن أرضها كما تدافع عن شرفها ضد كل محتل غاصب لأرض الوطن. فمن الشعراء الذين يوظفون رمز جيفارا للتضحية هو بند الحيدري في قصيدة «هم وأنا»، فالشاعر في هذا الشعر أكد في اغتيال جيفارا في بداية القصيدة وتكررت تضحيته وفدائه لأجل أماله؛ وبلازمه في التضحية شخصية تروتسكي الذي كان ثائراً وقتل في المنفى ويقول:

ضحك تروتسكي

رزمت ضحكته الخرساء

شحنت في علب ملساء

ختمت ... يحيا ... يحيا

زارت كل موانئ الدنيا

صارت في هذا الميناء بيتا

صارت في عنف مدينتنا قديسة حب وفداء

يحيا تروتسكى ... يحيا ... يحيا
بيعت فى أقذاح الويسكى
فشربنا نخب تروتسكى وسكرنا
صرنا أغنية حانات قيثارا
لنغنى فى موتك جيفارا

(الحيدرى، ١٩٨٠: ٧٧)

الشاعر يذكر الموت والحى متلاصقين فى هذا المقطع لكى يعلن أن الموت بالعزة لا
يعنى الفناء، بل فى الموت الذى يقارن بالتضحية والفداء فى سبيل المكارم انتعاش وحياة
خالدة. فلهذا يستعمل الموت بعد الحى لأنّ بطل قصته كان قديسة الحب والفداء فسيبقى
ذكره حياً ولا يُنسى أبداً. ويعبّر الشاعر عن شخصية جيفارا بكل ما تشملها الإنسانية من
معان وسمو الإنسانية التى عبّرت عن أسمى القيم من حب الخير والكفاح والتضحية فى
سبيل المجد. فصارت مبادئ سامية وقيماً راقية، شخصية التى تسير دمائه لتروى عطش
الوطن الظمآن الذى صار جديماً ولا يجد النور، نور الحرية، نور الأمن، نور السلام. صارت
تضىء طريق الأمن حين اشتدّ الظلام وانتشر الخوف وهذا يعنى الميت الحى. والشاعر فى
نهاية الشعر يؤكّد فى موته قائلاً:

قلت لكم سيموت ... لقد ...

كلا ... كلا

قلت لكم سيموت ... لقد ...

إلا ... إلا ... جيفارا

يولد جيلا جبارا

وسنعبد فى البيت المحروق الموتى

وسنعبد حتى النار

كى نولد جيفارا

(الحيدرى، ١٩٨٠: ٧٨)

أكد الشاعر فى إخباره عن موت جيفارا عاجلاً لكى يقول أنّ من ينتخب سبيل الجهاد
والنضال للنيل إلى أهدافه يواجه بالعدوان. لكنه يستثنى الشاعر جيفارا من الموت حتى

يعلن عن اعتقاده بخلود جيفارا/ وحضوره في قلوب الثوار وعاشقى الحرية، فسيولد جيفارا/ في آمال الأجيال المستقبلية.

والشاعر الفلسطيني معين بسيسو في شعره «مأساة جيفارا» الذى أنشده فى ذكرى موت جيفارا، يعرفه رمز التضحية للحرية ورمز لإعادة أرض فلسطين. فى هذا الشعر لقد تأثر بسيسو كثيراً برحلة جيفارا/ النضالية، فصاغ منها موضوعاً إنسانياً كبيراً، مستثمراً كل أدواته لدفع قضية النضال الفلسطيني إلى الواجهة؛ ومن خلال الكلمة الصادقة والتعبير الحر الأصيل فى فضاء مسرحى شعرى قلما تجد له مثيلاً، لا سيما إذا كانت المعالجة واقعة تحت تأثيرات الحدث الواقعى الحى وبحجم قضية شائكة مثل القضية الفلسطينية:

قد قتل جيفارا
من أجل جميع الفلاحين
من أجل السنبله ومن أجل الشجرة
من أجل الثورة
فليحيى جيفارا
فليحيى الرأس المقطوع
وليحيى الصدر المثقوب
قولا هذى الكلمات لأهل القرية
وخذا هذى الأوراق
فلعل هنالك فى تلك القرية من يقرأ

(بسيسو، ١٩٦٩: ٣١)

الصحة والوعى

الصحة هى اليقظة، تصيب الفرد أو الأمة، بعد سنة وغفلة وتخلف وتراجع. وفى العالم الإسلامى هى تلك الظاهرة الاجتماعية الجديدة التى تشير إلى تنبه الأمة الإسلامية؛ وإفافتها وإحرازها تقدماً مُطرداً فى إحساسها بذاتها، واعتزازها بدينها وفى تحررها من التبعية الفكرية والحياتية وفى سعيها للخروج من تخلفها وانحدارها، ولقيامها بدورها الحضارى الخيرى المتميز باعتبارها خير أمة أخرجها الله لإعمار الأرض. وهكذا ارتبطت

الصحة بحلم الأمة في النهوض، والانعقاد من أسر التخلف الموروث، ومن الهيمنة الاستعمارية والحضارية الغربية (حسنى، ١٣٩٢، ٢٦: ٤٠). فإن الصحة حالة مثلى لنشر الوعي في الأمة لتزداد قوة وتماسكاً ومنعة وصموداً في وجه تكالب الاستغراب العالمي والإستكبار الصهيوني على الأمة الإسلامية لتدمير قيمها، وإنسانها حامل لواء الخير. فهذا التعريف يتميّز مفهوم رموز هذه الصحة والوعي في الشعر العربي. فجيفارا كرمز للشورة والنضال هو تمهد الأرضية للإستنهاز بتوعية الناس وجعلهم لتعريف موقعهم ومكانتهم في العالم. من الشعراء الذين وظفوا رمز جيفارا لتوعية العرب هو عبد الرحمن يوسف في قصيدته «على بُعدِ خُلْدٍ وَنِصْفِ» الذي يصوّر جيفارا في شعره ككائن يضيء سبيل النضال والنجاح للثوار العالميين. قال الشاعر:

على بُعْدِ صُبْحٍ وَنِصْفِ مِنَ اللَّيْلِ كَانَ يَقُودُ الْخَيْارَى
يَسِيرُ بِخَطِّ شَدِيدِ الْوُضُوحِ كَقَوْسِ الْكَمَانِ
فَيَسْرَى (كَصَوْتِ الْكَمَانِ) تَخْطَى الْجِدَارَ

(يوسف، ٢٠٠٨: ٤٥)

رمز الرجاء والأمل

الأمل والرجاء مقابل اليأس والقنوط. ولا ينتهي عمل دون الرجاء للنجاح والأمل عمود أى عمل. وإنسان دون الرجاء كميت لأن الشخص الذي خاب أمله يفقد الحماس والحيوية في جسمه ويسلم نفسه للموت. فللأمل دور هام ومحورى في الأمور الصعبة والعظيمة ومن قام بعمل دون الرجاء قد خاب لا شك. على هذا الأساس، الأمل لازم للثورات والحركات السياسية والاجتماعية خاصة في الموقع الحاضر للشعب العربي والإسلامي. فالرجاء محور اساسي للتخلص من هيمنة الكيان الصهيوني في فلسطين كما أنه من وجوبات النجاح وأصوله في النجاة من الحكام المستبدين والظالمين وتحرير الوطن العربي. جيفارا كشخص الذي لم يخب أمله حتى الموت وحارب المستبدين والظالمين في دول شتى، قد وُظف كرمز الأمل والرجاء في نيل الأهداف الشورة والنضال والجهاد. عبد الوهاب البياتي شاعر الإغتراب، الذي يهتم بقضايا شعبه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، أنشد قصيدة «عن موت طائر البحر» واستدعى فيه جيفارا كرمز الأمل والرجاء:

فى زمن المنشورات السرية
فى مدن الثورات المغدورة
جيفارا العاشق فى صفحات الكتب المشبوهة
يثوى مغموراً بالثلج وبالأزهار الورقية
قالت وارتشفت فنجان القهوة فى نهم
سقط الفنجان لقاع البئر المهجور
رأيت نوارس بحر الروم تعود
لترحل نحو مدار السرطان
ونحو الأنهار الأبعد
فى أعمدة الصحف الصفراء
يبيع الجزائريون لحوم الشعراء المنفيين
العرافة قالت هذا زمن سقطت فيه الكتب المشبوهة

(البياتى، ١٩٩٥: ٣١٣)

يصف الشاعر فى هذا لمقطع جيفارا الذى كان عاشقا فى زمن الذى خاب فيه أمل المقاومة والانتصار، ولكن فى وسط هذا اليأس والقنوط وفى الساحات المشبوهة يحب جيفارا العمل والجهاد والمكافحة. هذا يعنى أن جيفارا يلقى الأمل والإنعاش فى قلوب المناضلين لاستمرار النضال والمقاومة؛ ولكن الشاعر يقنط فى هذا الأمر من الوصول إلى النجاح لانه يتصور شخصية جيفارا مغموراً بالثلج وبالأزهار المذبولة لأنه لا يرى من لبيى بنداء جيفارا، مع هذا جيفارا العاشق بكونه أسوة للثوار والمحاربين ضد الإستبداد والظلمة يحمل الأزهار والثلج الذى يخبر عن الربيع وانتهاء الآلام.

وفى قصيدة «أصوات من وحى الإنتفاضة» ليوסף /ديك شاعر فلسطينى وظّف رمز جيفارا كشخص مؤمل الذى يعطى للشعب رجاء، ويبعدهم عن الخوف فى مكافحة الصهاينة والشاعر يبدأ شعره بترسيم الرسم. وبهذا الرسم والصورة يعبر عن آماله وأحاسيسه حيال قضية فلسطين وأحلامه المنكوبة وقال منشداً:

الآن سأخلق من عبث اللحظات الميَّتة
أرضاً خُبلى

ستطلُّ امرأةٌ حافيةٌ
صافيةً الوجه وشاسعةً العينين كظبي
بين قبور الأحياء... الشهداءِ
أعزُّ الناسِ
شواهدا أطفالاً
خلَعوا الخوف...
رموه بقصعةِ سجانٍ عربيٍّ ومَضوا
جيفارا معهم
يبحثُ عن كوبا في العروبِ
الريشةُ تهتزُّ الآنَ
بكفِّي تمتزجُ الألوانُ
مَنْ مِنْكُمْ جَرَبَ يوماً، يرقبُ جسداً
يخرجُ حياً من لوحةِ فنانٍ
خرج الجسد الحىَ أمامي حيا
واكتملَ الإنسانُ
طفلٌ في العاشرةِ صباحاً من عمره
ينهضُ في كفِّه... حجرٌ ينبضُ
ما أروع... أن نثقَ بحجرٍ
سيعيدُ كرامةَ إنسانٍ!!

(الديك، ١٩٨٦: ٤٥)

نتيجة البحث

الرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، ثرى بها لغته الشعرية ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصى على التحديد والوصف من مشاعر وأحاسيسه وابعاد رؤيته الشعرية المختلفة. من أبرز الرموز التي وظّفها الشاعر المعاصر هو الرمز التاريخي الذي انتخب

الشاعر بطلاً من نصوصه ووقائعه ويوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقى، ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التي عاشتها أمتنا في الزمن الحاضر. يعتبر جيفارا من الأبطال والشخصيات التاريخية التي وظفها الشاعر المعاصر. من خلال شخصية جيفارا، يعبر الشعراء عن أن الهزيمة التي تلقاها الدعوات والقضايا النبيلة في هذا العصر وعن رغبة الشعب العربي إلى الثورة والمناضلة ضد أعداءه. هذه شخصية يُعيد الشاعر إلى الماضي وفق رؤية إنسانية حاضرة، تكشف هموم الإنسان ومعاناته وطموحه وأحلامه ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر، حيث يستلهم الشاعر أوجه التشابه بين الأحداث الواقعة في عصر جيفارا ووقائع العصر وظروفه.

شخصية جيفارا وُظف في الشعر المعاصر خاصة في قصائد الشعراء الملتزمين والواقعيين والذين يهتمون بحياة الشعوب سياسياً واجتماعياً وثقافياً. استدعاء شخصية جيفارا كرمز الثورة والمقاومة والحركات الشعبية والتوعية والصحوه والتضحية والرجاء والأمل، يشاهد في قصائد الشعراء الذين وظفوه ليعبروا عن الواقع الحاضر خاصة عن الشؤون المرتبطة بقضايا أمة العرب في صدرها قضية فلسطين والحكام المستبدين في الدول العربية التي يعاني الشعب العربي من ظلمهم منذ زمن بعيد. فالشاعر يستفيد من شخصية جيفارا الثائر لكي يُثير الشعب العربي ضد الصهاينة والمستبدين والمستكبرين وسالبي حقوقهم الإنسانية.

المصادر والمراجع

- أبوشاور، سعدى. ٢٠٠٣م، **تطور الإتجاه الوطنى فى الشعر الفلسطينى المعاصر**، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- بسيسو، معين. ١٩٦٩م، **مأساة إرنستوشى جيفارا، القاهرة: دار الهلال.**
- البياتى، عبدالوهاب. ١٩٩٥م، **الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثانى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.**
- حداد، قاسم. ٢٠٠٠م، **الأعمال الشعرية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر**
- الحيدرى، بلند. ١٩٨٠م، **ديوان بلند الحيدرى، بيروت: دار العودة.**
- الخطيب، أحمد موسى، و محمد صالح الشنطى. ١٩٩٦م، **ظواهر الحديثة فى شعر المقاومة: شعر أحمد الريماوى نموذجا**، ط ١، السعودية: منشورات الهيئة الإدارية للإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.
- الديك، يوسف. ١٩٨٦م، **ديوان طقوس النار، كتاب الكترونى.**
- رمانى، ابراهيم. ١٩٨٥م، **أوراق فى النقد الأدبى، ط ١، الجزائر: دار الشهاب.**
- سينكلر، اندرو. ١٩٨٦م، **جيفارا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.**
- فودة، على. ٢٠٠٣م، **الأعمال الشعرية، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.**
- فؤاد نجم، أحمد. ٢٠٠٥م، **الأعمال الشعرية الكاملة، ط ١، القاهرة: دار ميريت.**
- مارش، أليدا جيفارا. ٢٠٠٣م، **إرنستوشى جيفارا، لا مكان: الدار العالمية.**
- ناصر، مصطفى. دون تا، **دراسة الأدب العربى، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.**
- اليافى، نعيم. ١٩٨٥م، **تطور الصورة الفنية فى الشعر العربى الحديث، دمشق: دار الهدى.**
- يوسف، عبدالرحمن. ٢٠٠٨م، **حزن مرتجل، القاهرة: دار الشاعر للنشر والتوزيع.**